

وثائق وأحداث

اللغات الأساسية والهرمية

بقلم الدكتور ريمون طحمان

لم يكن تعليم اللغات الحية أو البائدة يعتمد قديماً على الإحصاء : وكان طالب اللغات يحشو ذاكرته بقوائم من المفردات والصيغ لا يعرف درجة شيوعها ، وكانت ذاكرته تمثل ما تستطيعه مهمله أحياناً الحام لحفظ التافه : وعازفة عن الجوهر للتعلق بالسطحي .

وقد يلاحظ الطالب الآن ان العلماء قد سعوا في تسهيل اللغة وتيسيرها وانتقوا مفردات وصيغاً كثيرة الشروع والاستعمال قد اصبحت محور مؤلفاتهم وذلك لنشر لغة مبسرة وببساطة تخضع للإحصاء وللمجموعة من التواميس العلمية والرواثر التجريبية . واستطاع الغرب تطبيق علم الإحصاء على اللغة وتسخيروه لها في سبيل الوصول الى الهدف بأجمع الوسائل وبأقرب الطرق .

تاريخ اللغات الأساسية :

لم يكن المربون والمدرسون قبل تطبيق نظريات الإحصاء على اللغة يطلبون من المتدئين معرفة أصول اللغة كافةً وحفظ المصطلحات العلمية الدقيقة : بل كانوا يختارون لهم المفردات الضرورية والنصوص المتدرجة في الصعوبة ، ولكنهم كانوا يقومون بعملية الانتقاء والاصطفاء بشكل اعتباطي . إذا تصفحنا مثلاً كتاب لغة الصف الرابع الابتدائي التقليدي وأحصينا ما ورد فيه من كلمات لوجدناه يعجّ بمفردات متنوعة لا حصر لها ، فواضع الكتاب لا يشترط في التلميذ معرفة مفردات الكتاب كافةً بل يعهد اليه انتقاء تلك التي يرى ضرورة لحفظها . وكنت نلاحظ ، نتيجة لما تقدم ، ان الاكثريه الساحقة من التلامذة - ما عدا فئة موهوبة - لا تتحكم إلا بمجموعة مفردات معدودة قد تنقل عن كلمات اللغات الأساسية التي لا تتجاوز عادة عددها ١٥٠٠ كلمة . لا نريد أن نعرض بهذا النوع من

طرق تدريس اللغات إذ كانت عملية التدريس تمتد على عدد كبير من السنوات وإذا كان يسود الاعتقاد ان العودة الى النصوص الأدبية هي الطريقة الناجمة لتزويد الطلاب بالمفردات الضرورية ولكننا نقول : بقدر ما يتمكن الطالب . في سن مبكر . من اللغة . بقدر ما تكون مكتسباته أوفر عدداً . وثقافته أمتن مادة . ثم ان اللغة ليست مادة علمية بحد ذاتها بل هي وسيلة وأداة لتعلم وإذا استطاع المتعلم السيطرة على مبادئ اللغة الأساسية أهمل الجدل اللغوي العقيم وتركه الى الاختصاصيين وانصرف الى كسب معلومات حديثة وعلمية تجعل منه شاباً مثقفاً قد يحمل البيغائية ليفكر ، وقد يمثل ما هو ضروري له من اللغة ليكتسب معارف عامة جديدة ، وليطلع على مقتنيات العالم الحديث .

عرف الغرب هاتين الحقيقتين وأول من قام بتيسير اللغة هم الانكليز الذين حاولوا : رغم المكانة التي تتمتع بها لغتهم . ايجاد وسائل لنشرها واستنبطوا هذه الغاية طريقة اسموها Basic English وما برح أن هذا حذوهم الفرنسيون الذين حددوا المفردات الأساسية والصنيع الصرفية والنحوية الغالبة الشيوخ والاستعمال واطلقوا على طريقتهم اسم Le français fondamental وهكذا قد احتست انكلترا وفرنسا في مطلع هذا القرن بتسهيل لغتيهما وتيسيرهما ونشرهما على سكان مستعمراتها للذود عن مصالحها التجارية ونفوذها السياسي . وقد وجد علماء اللغة الفرنسيون والانكليز : بعد زوال العهد الاستعماري : ان الطرق التي اتبعت في استنباط اللغات الميسرة تصلح كإيديا علمي وكنقطة انطلاق لتجديد العلوم اللغوية . وقد يتبادر الى خاطرنا السؤال التالي : هل نستطيع الاقتداء بالغرب وتجديد العلوم اللغوية العربية وتطبيق مبادئ التيسير والاحصاء على لغتنا ، اي هل نستطيع استنباط لغة عربية أساسية ؟

إن اللغة من نتاج المجتمع وهي مقياس لرقى الأمة ومدى قابليتها للتطور ولسايرة متطلبات الحياة العصرية . تكافح اللغة العربية في سبيل البناء ساعية لطى مراحل التخلف بعزيمة لا تكل ، جاهدة في ربح المعركة كسائر اللغات التي يزود عنها ابناؤها البررة : الناطقون بها . غزت البلاد العربية افكار وآراء مغرصة خلاصتها ان اللغة العربية جامدة وبائدة . وأول من عمد الى القضاء على اللغة العربية واحلال اللغات الاجنبية محلها هم المستعمرون الذين اعتبروا ان لغاتهم تحمل الحضارة والتقدم ، وان لغات الشعوب

المستعمرة لغات متأخرة أصيبت بالحرم والعقم ولذا نادى بعضهم بنيل اللغة العربية ودعا لاستعمال لغته في البيت العربي والمعمل والمدرسة وحتى في التخاطب بالأمور اليومية ولكن ما لبث أن نادى آخرون وأكثرهم ممن المنشرفين بالحفاظ على اللغة العربية وأخذوا يساعدون العربية على النهوض من كبوتها لتثقي نفسها طريق البقاء ، وتحتل مكانتها كلغة عالمية . وتستعيد مجادها وحيويتها ، وتعود الى ما كانت عليه في عصور ازدهارها .

إن اللغة العربية ذات أبعاد غابرة ولكنها لا تستطيع اللحاق بركب الحضارة العالمية إلا إذا خضعت للتجديد والاحياء . إن معاملة اللغة العربية على ضوء مبادئ الاحياء والطرق التي اتبعتها اللغات الأساسية أمر ضروري قد يؤمن للعربية شيئاً من السيطرة والنفوذ ، وقد يؤدي الى ايجاد لغة عربية حديثة قد تفي بمتطلبات العصر الحاضر .

مشكلتنا في تسير اللغة وتدريبها :

يجب البعض ان جمال لغة ما يكهن في صعوبتها . إن العالم احدث لا يعتبر اللغة ككشش أو كرمز عويص . الحل : بل يعتبرها كأداة تعبير يجب أن تخلو من غريب الكلام ووحشية ، أيمن قواعد معتدة يخرج أكثرها عن المألوف . ان الناس يعرفون في الوقت الحاضر عن تعلم اللغات الصعبة . ويأبون صرف طاقاتهم وإضاعة وقتهم لتمثل قواعد تكثر فيها الشواذات . وذلك مما يشبط همة المتعلم . فالشواذات التي تملأ كتب اللغة قد تكون قليلة الاستعمال . وقد لا تظهر في لغة الخطاب . فإلى النائدة من إجمال الحالات السوية لدراسة حالات شبه مستحيلة . وما الغرض من تعقيد البسيط عوضاً من تبسيط المعقد . وما الغاية من ترك السهل للتعلق بالعويص والصعب ؟ تطالب الاكثرية الساحقة من الناس بلغة ميسرة ويطرق تدريس فعالة قد تؤدي سريعاً الى نتائج ملموسة . وهكذا نرى ان مصير اللغة العربية مثلاً منوط بأمرين : أمر تسيرها وأمر تجديد طرق تدريسها ومن المؤكد أننا نسدي للغة العربية خدمات جليلة عندما نجد مبادئ ثابتة لتسييرها وطرقاً جديدة لتدريسها وعندما نقضي على الخرافة الراسخة في العقول والمنشورة بين الناس والتي تدعي أن صعوبة اللغة العربية ناشئة ومنبثقة من نوعيتها . يجب علينا أن نثبت بالأدلة القاطعة أن صعوبة العربية نتيجة حتمية لعقم طرق دراستها وتدريبها .

نحو تيسير العربية :

عندما نتكلم عن تيسير اللغة العربية لا ننادي بإحلال العامية أو الدارجة أو غيرها من اللهجات محل العربية الفصحى ، بل نعير اهتمامنا الكلي إلى هذا النوع من اللغة العربية الشائعة التي يطلق عليها المستشرقون تسميات متعددة (العربية الحديثة - العربية الأدبية الحديثة : العربية الوسيطة : العربية الجديدة الرفيعة ، العربية الأدبية المعاصرة ...) والتي نسميها نحن اللغة العربية المكتوبة الحديثة أو لغة الجرائد والتي نخرر بها اليوم المؤلفات الأدبية والعلمية والمقالات والصحف والبحوث العلمية والأحكام القضائية والفتاوى والرسائل الرسمية والخاصة أي مجمل إنتاجنا الأدبي المكتوب .

تألف اللغة العربية كسائر اللغات من مجموعة كلمات ومن بعض الصيغ الصرفية والنحوية المتداولة . وعلينا : في سبيل تيسير العربية : الابتعاد عن الموازنات العاطفية وعن الجدل العقيم والانصراف إلى تحديد كمية الكلمات والتصيغ التي تولف اللغة الأساسية . لم يكن في وقت من الأوقات هدفنا اختراع لغة جديدة بل كانت دوماً غايتنا استثمار العلم والاحصاء لايجاد لغة عربية سليمة وميسرة . يحدد العلم والاحصاء كمية الكلمات المتداولة ونوعيتها والتصيغ الأساسية الضرورية وتراعي عمليات الإحصاء أموراً فنية كانتقاء النصوص وصنع الجزازات وترتيب مفردات اللغة في جداول حسب قرينة التواتر والتوزيع والتوارد إلى الخاطر ... فالطريقة العلمية المتبعة في اللغات الأساسية معقدة ولذا يجب علينا أن نقول كلمة موجزة عن كل من أهم مراحلها أو المبادئ التي اتبعت فيها :

١ - انتقاء النصوص : يعتمد الاحصائي نصوصاً من مختلف أنواع الانتاج المكتوب المعاصر ويخضع إلى عمليات الاحصاء النصوص المطبوعة والمراسلات الرسمية والروايات والشعر الحديث ومقالات الصحف والتخصص والرسائل الخاصة ووظائف انشاء الطلاب وما ينتجه تلامذة المدارس وقد يبلغ عدد الكلمات الذي يهتم به الاحصائي بضعة ملايين ويشترط عادة ألا يقل عن المليون .

٢ - احصاء المفردات : يكيلُ الإحصائي أمر المفردات الواردة في نصوصه إلى قرينة التواتر *degré de fréquence* التي أثبتت أن الأدوات

تأتي في طليعة جداول التواتر فالأفعال فالصفات فالمفردات الحسية. إننا نفتش أحياناً عن كلمة ولا نجدتها فنقول باللغة العامية إنها على « رأس لساننا » وإذا تنحصنا نوع تلك الكلمة المنية للاحتضنا أن النسيان يقع في أكثر الحالات على أسماء الأعلام فاسماء الأشياء فالأفعال وقلماً تكون الكلمة المنية صفة ويندر أن تكون حرفاً أو أداة فهذان النوعان الأخيران من الكلمات يقاومان النسيان وقد أثبتت التجارب التجريبية أن النسيان لا يداهم مجموعة الكلمات بكاملها بل يقع على طبقات متلاحقة فيصيب أولاً أسماء الأعلام فاسماء الأشياء الحية فالحجيرة منها فالصفات فالأفعال وفي آخر الأمر الأدوات والحروف وهكذا يتبين لنا ان ما نراه أمراً عجيباً قد يأخذ أبعاده الطبيعية وقد ينسربعلم النفس والإحصاء معاً اللذين أثبتنا ان الحروف والأدوات والأفعال تبقى عالقة في الذاكرة بسبب ارتفاع تواترها وان أسماء الأعلام والأسماء الحية تغيب عن الذاكرة بسبب ضعف تواترها، فهناك إذا علاقة ما بين درجة التواتر والنسيان: وكل كلمة مرتفعة التواتر تبقى عالقة في الذهن وكل كلمة ضعيفة التواتر تكون عرضة للنسيان.

٣ - النصوص والتواتر والتوزيع: عندما نقوم بعمليات الإحصاء اللغوي نجتمع العينات من نصوص تعالج مختلف المواضيع وكل نلاحظ ان كل عينة صادرة عن موضوع معين تنضم بمفردات تميزها عن غيرها من المواضيع فكلمة قانون مثلاً تكون ضعيفة التواتر في مجموعة نصوص تعالج شتى شؤون الحياة العامة بينما يرتفع تواترها في النصوص الختومية ولذا وجب على الإحصائي اعتبار قرينة جديدة تسمى قرينة التوزيع والتي تنجم عن طبيعة النص. علق بعض الإحصائيين أهمية كبرى عنى قرينة التوزيع بينما أهمل البعض الآخر هذه القرينة وأفرغوها من كل معنى وذلك بتنويهم النصوص المشتقة بحيث تتعادل حظوظ الكلمات في قوة التواتر وضعفه.

٤ - المفردات الكامنة المتواردة الى الخاطر: لقد سبق لنا وعرفنا الكلمات المتواترة ونذكر الآن نوعاً آخر من المفردات نسميها الكامنة المتواردة الى الخاطر disponibles. لقد تبيّن لنا أن أسماء الأعلام والأشياء الحية والمجردة تكون ضعيفة التواتر والمعلوم ان هذه الكلمات ضرورية في اللغة الأساسية إذ ان الأدوات والحروف المرتفعة التواتر لا تعبر عن المتاحيم بمد ذاتها ولا تؤلف جوهر الخطاب بل أطره ويتعلق خاطر الانسان بالجوهر ولا يهتم بالأطر.

في حالة تداعي الفكر : تتبادر الى الخاطر الاسماء الخمسة ولا تصلح الروابط والأدوات إلا للتعبير المنطقي عن العلاقات القائمة بين الأشياء وقد ميز علماء اللغة والمربون والأطباء وعلماء النفس مفهوم التواتر عن مفهوم التوارد الى الخاطر وقالوا بهذا الصدد : يعيش الانسان في كل وقت وفي كل ساعة مواقف معينة situations يستعمل للتعبير عنها المفردات الكامنة المتواردة الى الخاطر والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك المواقف والتي تنظم كالمعتاد حول مراكز الاهتمام centres d'intérêt . ان انتظام زمر من الاسماء حول مراكز اهتمام معينة أمر لا يعود نقديره الى الوهم والخيال بل هو حدث قد أثبتته التجربة وروّزه تداعي الافكار . كل مركز اهتمام يثير تداعي الفكر فتحتاج الذاكرة اعداد من المفردات الحسية ذات علاقة بمركز الاهتمام فيقوم الفكر حينئذ بعملية انتخاب واصطفاء متتياً اسماً واحداً من زمرة اسماء تتنازع ننبه عن وجودها، واصطفاء الكلمة المناسبة محل النزاع ولكنه يجعل المتكلم يشعر بوجود كلمات أخرى أبقى انتقاءها وشعر بوجودها . تؤلف زمرة المفردات التي تحتاج الذاكرة للكلمات المتواردة الى الخاطر وجعلتها من الاسماء بعكس ما حصل للكلمات المتواترة . وهكذا اسهمت هذه الحقيقة العلمية مساهمة فعّالة في حل مشكلة تحديد المفردات صاحبة الأولوية في الاستعمال وأدخلت معياراً جديداً نستطيع أن نأخذ به في تحديد جداول الألفاظ التي تتألف منها اللغة الأساسية .

د - المفردات المتواترة وانكامة التوارد الى الخاطر : قد يناسل المرء : ما النائدة من معرفة المبادئ التي تقدم ذكرها وما الغرض من تعريف منطوي التواتر والتوارد الى الخاطر ؟ فنقول : إننا نبحث عن المفردات الضرورية والمحدودة عدداً والصالحة لحاجات التعبير ولذا . انطلاقاً من هذه الحقيقة . نطرح على أنفسنا مجموعة من الاسئلة : أناخذ بمبدأ التواتر دون سواد أو علينا امرأه والظمن في صلاحه ؟ أتعد قرينة التواتر أو علينا سلوك طريقة تؤدي الى جل وسط يأخذ بالتواتر ويسمى لتحديد عدد تعابير اللغة الأساسية بقرائن أخرى ؟ يجب اعتبار قرينة التواتر كما أنه يجب عدم اهمال قرينة التوارد الى الخاطر . علينا أن نستخلص من التواتر ما نستطيعه : اي جداول كلمات مرتفعة التواتر : الأدوات واشباهها : الأفعال . الصفات : بعض اسماء الزمن والكتايات والمبهات : ثم علينا استدراك ما نحتاج اليه من المفردات بواسطة التوارد الى الخاطر : لكي تتمكن في آخر الأمر من كتابة ثبت بالمفردات التي انتقيناها وبشكل ثبتنا هذا مجموعة المفردات الأساسية .

٦ - إحصاء الصيغ الصرفية والنحوية : قام الاحصائيون لمعرفة الصيغ الصرفية والنحوية الشائعة بعمليات معقدة واستخدموا الجزازات وقرينة التواتر وقد استطاعوا معرفة خصائص اللغة معرفة علمية وبنيانية قد تُقدم للمعلم المبتدئ مجموعة من المعلومات تساعده على القيام بمهمة التدريس على أكمل وجه .

٧ - نتائج الإحصاء اللغوي : ورب معترض يقول : لماذا تريدون اعتماد الإحصاء والقيام بعمليات حساية دقيقة لتحديد اللغة الأساسية : اتركوا الأمر إلى معلمي المدارس الابتدائية أو سلموه إلى فئة من خريجي دور المعلمين الابتدائية وقد يستطيع أفراد إحدى هاتين الفئتين ، متكافئين متضامنين : القيام بمهمة انتقاء واصطفاء الكلمات الأكثر شيوعاً والصيغ الأكثر استعمالاً؟! ألا يستطيع مثقف يتنوع بزوح نقدية اقتناء معجم وتنحصر مفرداته وغربلتها : ألا يستطيع هذا المثقف نفسه إبعاد الغريب والحوشي من المفردات والاحتفاظ بعدد محدود منها دون اللجوء إلى الإحصاء؟ نقول إن حلاً كهذا سوف يبيء بالفشل الذريع وإذا أراد أحدنا أن يتفحص المعجم لطرد الحوشي منه ولغربة اللغة لتوصل إلى انتقاء ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ مفردة ولكنه سرعان ما يصادف صعوبات جمة لعدم تحديده تواتر الكلمات فيحترق حينئذ في أمره ويقر بعجزه . إن عدم الأخذ بقرينة التواتر واللجوء إلى انتقاء عدد محدود من المفردات بشكل اعتباطي قد يؤديان إلى عمل سطحي وقد استعاض البعض عن عمليات الإحصاء بعمليات قد تنصف بالعلمية : ومن الطرق التي شاعت بهذا الخصوص الاستعانة بشبكة التعاريف والاحتفاظ بالمفردات التي تدل على مفاهيم عامة أو تطبيق طريقة النسخ والنسخ للحصول على عدد محدود من المفردات أو اختيار عدد من المفردات بطريقة الاعتباط . وقد تبدو هذه الطرق كمنافذ موقفة للخروج من مأزق حرجة ولكن أنى لنا القيمة العلمية المتوفرة في الطريقة الاحصائية؟ عوّل واضعو اللغات الأساسية على جداول المفردات المرتبة وفق قرينة التواتر وقرينة التوارد إلى الخاطر وانتقوا منها الكلمات السائرة والمتداولة التي تعبر عن واقع الحياة اليومية والتي تفي بحاجات الوجود، وتتكون اللغات الأساسية التي استنبطت على هذا النمط من ألفاظ تستعمل في العلاقات الاجتماعية البسيطة كالعمل اليومي والبيع والشراء ووسائل النقل والمرافق العامة ... كما بذل المهتمون باللغة الأساسية كل جهدهم لاغناء حقل مفردات لغة المدرسة والتربية فجاءت لغتهم تفي بحاجات الثقافة وتصلح كأداة لنشر التربية الأساسية .

٨- تطبيق الاحصاء اللغوي على اللغة العامية : كرس بعض الاحصائيين جل اهتمامهم للغة العامية أو الدارجة أو المحكية وقد حدثهم رغبة صادقة على صنع المجال لخدمة لغة الكلام الدارجة إذ لا يقتصر تدريس اللغات في عصرنا الحاضر على قراءة النصوص المكتوبة ومعالجة اللغات الحية كاللغات البائدة بل يتعدى هذه المرحلة ويتوخى جعل التلامذة يعبرون عما يخالجهم بلغة الحياة والخيوط .

إن وجود آلات التسجيل يجعل الآن ممكناً ما كان يعد سابقاً مستحيلاً وقد أتاحت الآلة عمليات احصاء اللغة المحكية ولكن تلك العمليات لا تزال من الأعباء الشاقة والدقيقة والمعقدة .

استعان الاحصائيون في مطلع هذا القرن بالحاكي phonographe الذي يضمن الأمانة في نقل الصوت ولكن هذه الآلة كثيرة الكلفة وصعبة النقل ولذا ما عثم ان انتشرت فكرة الاستعانة بالآلات المسجلة magnétophones السهلة النقل والقليلة الكلفة وأخذ اللغويون يجمعون مادتهم على الشريط المسجل وكانوا يقومون بعمليات تسجيل الأشرطة ونحوها الى صفحات مكتوبة بأقصى سرعة تلافياً لبعض النقص الذي قد يحدث اثناء التسجيل وكانوا ينتخبون من محتويات نصوصهم المسجلة والمكتوبة مراعين شروط الدقة والأمانة وذلك قبل تسليمها إلى احصائيين سوف يعاملونها فرزاً وإحصاء تماماً كما تعامل اللغة المكتوبة . وهكذا اخذ مجال الأبحاث اللغوية بالاتباع وطبقت على اللغة المحكية قرائن وروايات أعدت للغة المكتوبة وأصبحت اللغة المحكية تخضع ليدى سليمة منها : معرفة قرينة تواتر الكلمات في اللغة المحكية ومعرفة المفردات المتواردة اى الخاطر وذلك لتحديد كمية المفردات التي تصلح للغة المحكية . استنباط لغة محكية تسم بطابع علمي : إخضاع اللغة المحكية لرائز يقيس مدى فهمها وذلك لتطويرها ولجعلها تتلاءم مع حاجات الحياة .

٩- عمليات تدقيق اللغات الأساسية المكتوبة والمحكية : تكتفي اللغات الأساسية باصطفاء ما يقارب ١٥٠٠ مفردة منها أسماء ومنها أفعال وأدوات . تأتي الأسماء في الطليعة وتبلغ نسبتها المثوية ٤٧٪ ثم تعقبها الأفعال التي تبلغ نسبتها في الفرنسية الأساسية مثلاً ٢٣٪ بينما تتلنى هذه النسبة في الانكليزية الميسرة ولا تبلغ إلا ٢٪ اذ استعاض واضعو Basic English عن الأفعال بأشباهاها ، ثم تخلفها الأدوات التي تبلغ نسبتها ١٧٪ وتأتي أخيراً نعوت الأسماء والأفعال وأسماء الصوت . ويتيح هذا العدد المحدود من

الكلمات للكاتب التعبير عن أفكاره وقد أصبح للغات الأساسية إنتاج أدبي ميسر لم تستعمل فيه إلا مفردات اللغة الأساسية وصيغها وقد بينت التجارب التي أجريت على طلاب اتبعوا دروساً في اللغة الأساسية أنهم يستطيعون بعد ثلاثة أشهر من الدراسة السيطرة على لغة أساسية معينة، فهم يفهمون بعد هذه المدة القصيرة نسبياً ٨٠٪ من لغة المحادثة و ٧٠٪ من مقالات الصحف والجرائد وانجيلات و ٦٦٪ من الأدب القصصي و ١٦٪ من النصوص العلمية وقد جاءت الروايات بهذا الخصوص مشجعة ونأمل أن تدرج في يوم قريب اللغات الأساسية. وقد حددت لها عدة مستويات؛ تدرج بالطالب من السهل إلى الصعب ومن اللغة التي يُفهمي بمحاجات الحياة اليومية إلى لغة تعبر عن شؤون الحياة الاجتماعية والثقافية والفنية والفكرية.

١٠ - عملية خاصة باللغة العربية : إن دراسة الناحية البنائية في اللغة العربية أوقعت الباحثين في حيرة واضطراب مؤلمين . تمسك العرب بالاشتقاق وعالجوا بالتفصيل الأصول الثنائية والثلاثية والرابعة وأسهبوا في الكلام عن قضية الأصول الثلاثية وعلاقتها بكافة أنواع المشتقات وتركوا أمر علاقة المفردات بمراكز الاهتمام وبالاحتقون المفهومية مبهماً خلوا من التحديد والتعريف وأصلوا طرق الاعتماد على النسخ والمسخ المطبقة في الـ Basic English والاحتفاء المطبق في الفرنسية الأساسية . وعلى الباحث في اللغة الأساسية العربية أن يستمر بالإضافة إلى المبادئ التي طبقت في اللغتين الانكليزية والفرنسية الإمكانات الكامنة في طبيعة اللغة العربية وفي بنيتها ولا يجوز له أن يتمسك بقرينة التواتر والتوارد إلى الخاطر وغيرهما من القرائن وأن يقنأسي مشكلة اشتقاق اللغة العربية فهناك كلمات ومفردات تنحدر من أصل واحد يجب أن تصنف في جداول اشتقاقية تبين عدد الكلمات التي تلتصق حول أصل واحد وقد تكمل هذه العملية ما جاءت به منهجية الألسنية الحديثة .

اللغة الأساسية وطرق التدريس :

يشكو المربون من صعوبة تدريس العربية وقد نادى الكثيرون منهم بضرورة تيسير اللغة العربية الحديثة كما كشف بعضهم الآفة الحقيقية وطالبوا بهجر طرق التدريس العقيمة واتباع طرق حديثة تتماشى مع مقتضيات العصر الحاضر . طرح الأب آلار Allard على بساط البحث مشكلة تجديد

تدريس اللغة العربية في مقال له نشرته مجلة *Travaux et Jours* n° 27, avril-juin 1968 تحت عنوان *Pour une pédagogie moderne de l'arabe* حيث فيه العاملين في حقل العربية على نبد الطرق التقليدية والتشديد بالأساليب الحديثة التي قد تؤدي الى نشر اللغة العربية وتعميمها : والكل يعلم ما يحق اللغة العربية من الأخطار ولذا يجب حماية اللغة العربية من سيطرة اللغات العالمية الحديثة ونفوذها والتضاء على أساليب تعليم العربية البالية والتي ترجع في الصرف والنحو خاصة الى ما قبل الف عام !

وبما ان الاحصاءات اللغوية أدت الى انتهاء سنن جديدة في تدريس اللغات. لماذا لا تستفيد العربية من الطرق الجديدة التي اتبعتها خاصة اللغة الأساسية؟ تحلى هذه الأخيرة بالعلمية وتألف من كلمات مرتفعة التواتر تشكل أطر اللغة ومن أسماء محسوسة تنتخب بواسطة قرينة التوارد الى الخاطر وتشكل محتوى أطر اللغة، وتسهيلاً لعرض هذا الموضوع نستطيع القول : إن اللغة تتألف من مجموعة من الكلمات بعضها موضوعي *thématique* وبعضها غير موضوعي *athématique*.

تتمتع الكلمات غير الموضوعية بتواتر مرتفع ونحن نستعين بها للتعين عن المواضيع كافة ونصنف في هذه الزمرة العوامل والحروف والأدوات وعذراً كبيراً من الأفعال ومن أسماء انكنايات والمبهمات. لا تتمتع الكلمات الموضوعية بتواتر مرتفع وهي تتألف من أسماء الاشخاص والاشياء المحسوسة. وقد أدى مفهوم [الموضوعي وغير الموضوعي] إلى تطبيق هام في عملية التدريس والتعليم: تتألف اللغة من كلمات غير موضوعية وكثيرة الشبوع، فعلى المرابي الناجح أن يوليها جل اهتمامه، ثم تتألف اللغة من مفردات موضوعية تنتظم حول مراكز اهتمام معينة، وعلى المرابي الناجح أن يعين مراكز الاهتمام وأن يحدد أهم الكلمات التي تتعلق بتلك المراكز، وخلاصة القول: ان اللغة الأساسية تتألف من عدد محدود من الكلمات الموضوعية وغير الموضوعية التي كشفت أو حددت علمياً.

يخشى البعض أن تكون اللغة الأساسية مغلقة على نفسها قد لا تفي إلا بالحاجات اليومية. إن اللغة الأساسية تفتح لاستقبال كل جديد وقد ساعدت بطرقها الحديثة على ترويح لغات العلوم والتقنون. فيستطيع مثلاً الراغب في التحرس على اللغات تعلم الصيغ الأساسية مع شيء يسير من المفردات الحية أو الموضوعية ثم بعد اكتسابه الصيغ الأساسية اي القوالب

اللغوية يقرن هذه بالمصطلحات العلمية والمفردات الخاصة بالعلوم والفنون التي يريد التخصص بها وهكذا لا تكون اللغة الأساسية المبسطة إلا سبيل الوصول إلى اللغات الاختصاصية .

إذا كانت اللغة الأساسية أداة ناجعة لنشر العربية فعلينا أن نفتش عن النشآت التي قد تستفيد من انضيق الجديدة . بهم أمر تعلم اللغة العربية ففتين من الناس ، العرب والأجانب :

في العالم العربي أكثر من عشرة ملايين من التلامذة يدرسون في المعاهد الابتدائية وتبحث هذه الأجيال الصاعدة عن ضالتها دون أن تجد لما الكعب المدرسية الملائمة وهي لا تزال تنتظر كتباً وضعت على أسس علمية وطبقت فيها علوم الاحصاء ومبادئ اللغة الأساسية كما أن في العالم العربي عدداً كبيراً من البالغين الأميين المنتشرين في مشرق العرب ومغربه وهم بحاجة إلى التربية الأساسية اي ذلك الحد الأدنى من الثقافة الذي يسمى اليه المواطن الأمي الذي حرم من الدراسة الابتدائية والذي يبذل قصارى جهده في تلافي ما فاته . إن اللغة الأساسية أداة فعالة للتعليم الابتدائي ولكافة الأمية ومحورها ولنشر التربية الأساسية .

في العالم الغربي أناس يريدون دراسة اللغة العربية للتخصص والأطلاع على تراثنا والتبحر في علومنا وآدابنا فيجب علينا أن نجقق رغبة من يسألني للتشرخ لهذه المهمة السامية تم ان التبادل التجاري والمشاريع الكبرى التي تمخضت في هذه البقعة من العالم بالذات تدفع عدداً من البالغين الأجانب الذين يجنلون العربية بالتقدم أي بلادهم نحوهم رغبة الولوج في عالمنا وتفهم حضارتنا وهم لا يتطلعون إلى الماضي بل ينظرون إلى المستقبل ويسعون جاهدين لتقديم ما انجزه عالمهم المتصنع في حقل العلوم والتقنية إلى عالمنا المتأخر فنياً وهم يرغبون في تعلم لغة عربية ميسرة قد تصلح كوسيلة في عملية نقل خبراتهم لعدد من العرب يجنلون اللغات الأجنبية ، وأخيراً هناك أغراب لا يلتصقون تعلم العربية إلا لأسباب تنبع من صميم الحياة والواقع وهم يريدون تعلم لغة مبسطة بوقت قصير وهم لا يرون في اللغة آية أو تخفة نية رائعة تستحق الاعجاب والتبجيل بل أداة تؤمن منفعة مباشرة كالأخذ والعطاء والبيع والشراء والسياحة والزيارة ...

مستقبل اللغة العربية الأساسية :

ان الأسباب الموجبة التي أدت الى تيسير اللغات عديدة وقد آلت بعض المؤسسات العالمية على نفسها كالجوامع الشهيرة والمعاهد الشرقية في روما وباريس وكبريدج وميشيغان وبيروت (معهد الآداب الشرقية للآباء اليسوعيين) خدمة اللغة العربية الأساسية واستعمالها كأداة لنشر الثقافة العربية والعلم الحديث؛ وإذ نتمنى لهذه المؤسسات اطراد النجاح والتوفيق نأمل أن نرى في العالم العربي نفسه مؤسسات تفهم مبادئ التيسير وذلك لنشر العلم والتعليم ولا تأخذ النجح الوسائل لتعميم الثقافة الشعبية ونحو الأمية. إن باب الاجتهاد مفتوح لكل من يريد الاهتمام باللغة الأساسية وبالعلوم اللغوية الاحصائية الحديثة النشأة ولا يسعنا إلا أن نوكد أننا نرى في اللغة الأساسية بغية العرب، وندعو في الختام بالتوفيق لكل من تدفعه رغبة صادقة الى تيسير العربية وتعريف أصولها ومعالجة مشكلاتها ونأمل ان نرى اللغة العربية تدخل معركة انقاء والبقاء للأفضل؛ وتخرج منها ظافرة مظفرة تحتل المكانة اللائقة بها كلغة حية يتكلم بها ما يقارب المائة مليون نسمة وكلغة حضارة يتسم بها جزء هام من العالم الحديث.

المراجع

- The Basic English and its uses*, by C. A. Richards, London.
The system of Basic English, by C. K. Ogden.
L'élaboration du français fondamental, par G. Gougenheim, R. Michéa, P. Rivenc,
 A. Sauvageot, Paris, 1964.
L'arabe vivant, par Charles Pellat, Paris, 1952.
Introduction à l'arabe moderne, par Charles Pellat, Paris, 1956.